المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:08، العدد:03 (2024)، ص225-234

القنصل الفرنسي الفارس لورانت داريفيو ومشروعه لغزو الجزائر 1675م

The French Consul Chevalier Laurent d'Arvieux and his plan to invade Algeria in 1675

خميسي سعدي
المركز الجامعي بريكة (الجزائر)
Khemissi.saadi@cu-barika.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2024/07/24
تاريخ القبول:
2024/11/12

الكلمات المفتاحية:
- ✓ القراصنة
- ✓ الغزو
- ✓ الفارس داريفيو
- ✓ البحرية

الملخص:

ما فتئت الدول الأوروبية تتحين الفرص للاستيلاء وغزو مناطق الشمال الإفريقي منذ أن نجحت اسبانيا في حركة الاسترداد المسيحي، ورغم العلاقات الديبلوماسية التي كانت تربط الدول العثمانية بتلك الدول، إلا أن قناصل وسفراء تلك الدول لم يتوقفوا عن إعداد التقارير وإرسال المذكرات عن الحالة السياسية في شمال إفريقيا وعن قوتها العسكرية تمهيدا لغزوها، ومن بينها مذكرة القنصل الفرنسي الفارس لورانت داريفيو (Chevalier d'Arvieux Laurent) لغزو الجزائر وقدمها لأمير البرتغال الوصي على العرش بدرو الثاني (Pedro II)، ونهدف من خلال هذا المقال للتعريف بها وبتفاصيلها، لنستنتج أن نية العدوان مبيتة إذا سمحت الفرصة، وهذا المشروع هو مثال عن عشرات المشاريع، مما يدل على ان الفكرة متداولة بين الهيئات الرسمية والسلك الديبلوماسي.

Article info

Received:
24/07/2024
Accepted:
12/11/2024

Key words:
- ✓ Pirates
- ✓ Invade
- ✓ Chevalier d'Arvieux
- ✓ Marine

Abstract:

European countries have been waiting for opportunities to seize and invade North African regions since Spain succeeded in The Reconquista, and despite the diplomatic relations that linked the Ottoman country with those countries, the consuls and ambassadors of those countries did not stop preparing reports and sending memorandums about the political situation in North Africa. And about its military power in preparation for its invasion, including a memorandum from the French Consul (Chevalier d'Arvieux Laurent) to invade Algeria and presented it to the Prince of Portugal. Through this article, we aim to introduce it and its details, to conclude that the intention of aggression was premeditated if the opportunity allowed, and this project is an example of dozens of projects. This indicates that the idea is circulating among official bodies and the diplomatic corps.

مقدمة

يعتبر البحر الأبيض المتوسط مجال خصب لتطور العلاقات الدولية بين الضفتين وبين حضارتين مختلفتين، تلك العلاقات اتخذت أشكالا متعددة أحيانا يغلب عليها الطابع الودي والسلمي وإمضاء المعاهدات وأحيانا أخرى تتميز بالعداء والغزو، ويعد احتلال الجزائر وبقية دول المغرب من طرف الدول الأوروبية، أو حتى قبل ذلك حملة نابليون على مصر، كان تتويجا لخواطر وأفكار ومشاريع دينية ذات بعد سياسي واقتصادي تدعو إلى التوسع على حساب الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط. إن هذا الاحتلال لم يكن وليد فترة معينة بل هو تراكم لمشاريع واقتراحات سابقة تدعو إلى ذلك، فمنها المخططات المعروفة وأخرى غير معروفة، ونريد من خلال هذا المقال التعريف بأحد تلك المشاريع التي قدمت وبقيت محفوظة في ثنايا مذكرات أصحابها، ونقصد بذلك المذكرة التي قدمها الفارس لورانت داريفيو (Le chevalier Laurent d'Arvieux) لأمير البرتغال من أجل معاقبة قراصنة الجزائر، ومعرفة مصير تلك المذكرة.

1. دور القناصل في التحريض وجمع المعلومات الاستخباراتية

من المعروف أن الموجة الاستعمارية التي اجتاحت العالم العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين بأن جذورها تمتد إلى قرون خلت، فمنذ فشل الحروب الصليبية في تحقيق أهدافها، ظهرت في أوروبا عدة أدبيات تحمل أفكارا ومشاريع لغزو الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، هذه الأدبيات شارك في صياغتها أمراء وسياسيون وقناصل ورجال دين وعلماء ورحالة وأسرى...، حيث أصبحت فيما بعد مصدرا ومرجعا لأعمال لاحقة تدعو إلى غزوها والتحريض عليها، مما يعني أنها كانت في ذهن الجميع، ربما كانت حلما يراود الجميع يسعون لتحقيقه.

وإذا كان نجاح التجربة الاسبانية في استرجاع الأندلس والنجاح في الاستيلاء على بعض مدن وموانئ الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط مغريا ومحفزا للدول الأوروبية الأخرى للقيام بما قامت به اسبانيا، لكن الظروف الدولية آنذاك لم تسمح بذلك، فالمحاولات الأوروبية اصطدمت بالمقاومة العثمانية ومقاومة بحارة الجزائر وتونس وليبيا، لكن الأفكار والمقترحات وتقديم المشاريع المتعلقة بالغزو لم تتوقف. ان خسارة المعارك البحرية والبرية ساهم في تصاعد التكالب الغربي ضد الجزائر والسعي لتدميرها (Belhamissi, 1999, p. 12).

ومن جهة أخرى نتساءل عن عدم وجود نصوص – في حدود مطالعتنا– لسفراء وقناصل من العالم الإسلامي خاصة في غربي البحر الأبيض المتوسط سواء كانت مذكرات أو تقارير تفيد أو تعكس مستوى التفكير والتخطيط بالمقارنة مع ما تركه نظراؤهم من الأوروبيين، **هل كانت غفلة منهم؟ أم أن الطبيعة العدوانية لبعض الدول الأوروبية ظهرت في تقارير ومذكرات قناصلها وسفرائها؟** ولا ينبغي هنا أن يغيب على أذهاننا توسع الدولة العثمانية في شرق أوروبا ووسطها.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لقد كان على القناصل والسفراء والمبعوثين الأوروبيين نحو دول شمال إفريقيا التي كانوا يصفونها بالبرابرة (Barbary) التحلي بصفتين أساسيتين وهما إتقان فن التفاوض وحسن إدارة المناقشات واستغلال الفرص المختلفة لتقديم الهدايا وإقامة علاقات صداقة ومهمة ثانية تتمثل في جمع مختلف المعلومات عن تلك الدول عن قواتها العسكرية وعن دفاعاتها وتحصيناتها وكيفية مواجهتها والقضاء عليها. (Guillaume, 2013, p.378) ، وقد صدق المرحوم مولاي بلحميسي حين وصف حالة أوروبا مع الجزائر بأنها حالة مرضية اسمها الجزائر يجب تدميرها بكل الطرق (Belhamissi, 1999, p. 12).

وعرف القرن السابع عشر الميلادي انتشار أفكار ومشاريع تنادي بمعاداة الدولة العثمانية وتحرض على محاربتها والقضاء عليها وعلى برابرة شمال إفريقيا كانتشار النار في الهشيم فظهرت اقتراحات ومشاريع أخرى قدمت من طرف قناصل وجواسيس لغزو شمال افريقيا، من بينها مشروع أو مقترح السياسي الفرنسي فرانسوا سفاري دو بريف (François Savary de Bréves) لغزو الدولة العثمانية واقتسام أراضيها، حيث نشر مشروعه تحت عنوان: خطاب مختصر للوسائل الكفيلة بالقضاء على ممالك الأمراء العثمانيين وتحطيمها (Faruk, 2014). ومشروع بول شوفالي (Paul Chevalier) سنة 1661م الذي قدم مذكرة للملك الفرنسي تتضمن خطة لتدمير وتحطيم وغزو مدن الجزائر وتونس وطرابلس، دون أن ننسى مهمة كليرفيل (chevalier Clerville) الجاسوس الفرنسي الذي كلف بتحديد المناطق التي يمكن أن تكون موقعا مناسبا للإنزال ومباشرة الاحتلال، وكان هذا قبيل حملة الدوق بوفور (Duc Beaufort)[1] على جيجل (غطاس، 1985، ص 73). ومشروع غوتفريد فيلهلم لايبنتس[2] (Gottfried Wilhelm Leibniz) لغزو مصر والذي قدمه للويس الرابع عشر ملك فرنسا سنة 1670م (Faruk, 2014).

ومن بين المشاريع الخاصة بغزو الجزائر وتحطيمها ما قدمه القنصل الفرنسي الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) الذي عين قنصل لفرنسا في الجزائر بين سنتي 1674و 1675م. وقبل أن نعرض مشروعه أو مقترحه نقدم نبذة عن حياته وأعماله.

1.1. الفارس لورانت داريفيو

1.1.1. مولده ونشأته

ولد بمرسليا بتاريخ 21 جوان 1635م، تعلم بمدارسها وأظهر ميلا نحو الرياضيات واللغات الأجنبية، لم يستطع تحقيق رغبته في دراسة الفلسفة بسبب الوباء الذي حل بمدينة مرسيليا وكذا بسبب وفاة والده سنة 1650م، حيث تحمل مسؤولية تدبير وتسيير شؤون العائلة وممتلكاتها (d'Arvieux, 1735, p. 9).

لم تكن المهام التي يقوم بها لتسمح له ولعائلته بحياة كريمة وطيبة فاتجه كما فعل الكثير من الناس في منطقته إلى التجارة خاصة ببلاد الشام، فالتحق بأقاربه الموجودين في مدينة أزمير التركية سنة 1653م، ومنها انتقل إلى مدينة صيدا خلال سنة 1658م، ومنها انطلق نحو فلسطين لزيارة الأماكن المقدسة سنة 1660م، ثم

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

عاد إلى صيدا، وفي كل الأماكن التي زارها أو أقام بها كان يمارس التجارة، ويواصل تعلمه واتقانه لبعض لغات الشرق كالعربية والفارسية واليونانية (Vanezia, 2015).

2.1.1. نشاطه الدبلوماسي

أول المهام الدبلوماسية التي تقلدها ونجح فيها هي مرافقته لمبعوث الملك الفرنسي إلى تونس من أجل المصادقة على معاهد سلم بين البلدين، إذ تولى قيادة الفريق الفرنسي المفاوض ونجح في إقناع باي تونس بتوقيع الاتفاقية وتحرير الأسرى الفرنسيين، كان ذلك سنة 1666م (Vanezia, 2015).

وفي سنة 1671م أرسله الملك كمبعوث خاص إلى إسطنبول من أجل معالجة وإصلاح القضايا الديبلوماسية العالقة بين فرنسا والدولة العثمانية، عاد إلى باريس بعد فشل مهمته فطلب منه الملك إعداد مذكرة تحدد آراءه بشأن السلوك الذي يجب إتباعه في المفاوضات، وهي مذكرة سلمت إلى الملك في 24 سبتمبر 1672م تضمنت مقترحا بغزو الدولة العثمانية، وهو أحد المقترحات الأكثر إثارة للدهشة، وصفه البعض بأنه مشروع راديكالي وخيالي (Vanezia, 2015).

كلف بمهام ديبلوماسية في الجزائر التي وصلها بتاريخ 10 سبتمبر 1674م بصفته قنصلا، مكلفا بمهمة محددة تتمثل في حل النزاع القائم بين مدير حصن القالة والشركة المستغلة له وضمان تجديد عقد اتفاقية مع حكام الجزائر، ترك لنا انطباعا عاما من خلال مذكراته أن مهمته هذه لم تكلل بالنجاح المطلوب نظرا لتداخل مصالح بعض التجار المرسلين (مارسيليا) الحائزين على امتياز استغلال الشركة التجارية المتواجدة بحصن القالة الذين لم يكونوا على وفاق وتفاهم مع مدير الحصن، ضف إلى ذلك موقف الداي الحاج محمد[3] وصهره من هذه الامتيازات (Brahimi, 1978, p. 71). ومن تصرفات القنصل (Bourdieu) الذي طرد من الجزائر بسبب تسهيله هروب الكثير من الأسرى على متن سفن الملك الفرنسي من حين لأخر عند مرورها بالجزائر، بالإضافة إلى بعض التصرفات التي قام بها الطرف الجزائري والتي فهمت على أساس أنها أعمال عدائية ومخالفة للاتفاقيات المبرمة بين البلدين (d'Arvieux, tome 5,1735,p. 71).

2.1. انطباعه حول الجزائر

في بداية هذا العنصر يجب أن نشير إلى اعتراف الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) أن بعض المعلومات المقدمة عن سكان شمال إفريقيا المعروفين بالبرابرة هي مجرد دعاية نشرها رجال الدين ومفتدي الأسرى، فهو قد ترك ما يشير إلى ذلك في مذكراته حول مهمته في تونس سنة 1866م، حيث لاحظ أن معاملة الأسرى المسيحيين في تونس ليست بالسوء والوحشية التي يصورها البعض، بل يوجد بعض الأسياد في أوروبا من هم أكثر قسوة ووحشية من برابرة شمال إفريقيا (d'Arvieux, tome 3,1735, 458).

وعن مهمته في الجزائر فقد كتب عنها في مذكراته بامتعاض وأشار أنه تردد في قبولها وتلقاها بمضض إذ لم تكن ترضي طموحه ولم تكن في المستوى الذي كان ينتظره، فهو قد اعتبرها حطا من قيمته بعد المهام

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الديبلوماسية العديدة التي قادها بنجاح لصالح الملك، وأن الرتبة التي منحت له كقنصل في الجزائر هي أقل من مستواه السابق كمبعوث خاص للملك. بالإضافة إلى الصعوبات التي وجدها مع صهر الداي، واعتقاده بأن الجزائريين شريرون جدا وأنهم لصوص كبار بالطبيعة. وفرح فرحا شديدا حين غادر الجزائر وشعر بمتعة وسعادة تغمرانه لأنه غادر حسب رأيه أسوء مكان في العالم (d'Arvieux, tome 5,1735, p.208).

1. 3. مؤلفاته

مؤلفات القنصل الفارس داريفيو قليلة بالنظر إلى ثراء تجربته العملية، كتاجر ثم فيما بعد كديبلوماسي فرنسي حاز شهرة واسعة بسبب بعض المهام التي نجح فيها، وكذا بالنظر إلى إتقانه عدد من اللغات الشرقية مثل التركية والعربية والفارسية وغيرها...

من بين مساهمته العلمية هو انجازه لقاموس تركي فرنسي ومساهمته في ترجمة كتاب الجغرافيا لإسماعيل أبي الفداء مع المستشرق ملكيسادش تيفينو (Melchisedech Thévenot) ومساهمته مع الاديب موليير (Molière) بأمر من الملك لويس الرابع عشر لإنجاز مسرحية تحاكي وتصور المجتمع التركي، والتي كان عنوانها: (Bourgeois Gentilhomme) (المنارة).

أما عن مذكراته فهو لم يقم بطبعها وإنما تركها مسودة وأوراقا تكفل بها بعد وفاته أحد رجال الدين المسمى جون باتيست لابا[4] (Jean Batiste Labat) بتنسيقها ونشرها سنة 1735م، في ستة أجزاء (Yale, 2010). حيث تضمن الجزء الأول منها أخبار انتقاله من مرسيليا إلى أزمير التركية وممارسته للتجارة هناك، ثم انتقاله إلى مصر حيث تجول في الإسكندرية ودمياط ثم عاد ليقوم برحلة في بعض مناطق من لبنان مثل صور وصيدا (d'Arvieux, tome 1). وتناول في الجزء الثاني أخبار رحلته إلى فلسطين وخصص حيزا لا بأس به للحديث عن الأمير فخر الدين المعني وأصول أسرته وأخبار عن بعض الولاة العثمانيين. وعن تفاصيل رحلته إلى الأماكن المقدسة حيث ذكر عدة مدن مثل غزة والرملة ومدينة القدس ونواحيها وأخبار المسيحيين والكنائس بها (d'Arvieux, tome 2)، والجزء الثالث خصصه لإقامته بين عرب جبل الكرمل وأميرهم طرباي، عن حكومته وعن أخلاق العرب وعن دينهم وكرمهم وعن العدالة وعن الخيول العربية، وفيه أيضا تطرق إلى تفاصيل مهمته في تونس ونجاحها (d'Arvieux, tome 3). والجزء الرابع خصصه للحديث عن تونس وضواحيها وعن بعض المهام الديبلوماسية التي كلف بها، وكذلك خص مدينة اسطنبول بوصف هام لها ولضواحيها(d'Arvieux, tome 4) .

أما الجزء الخامس فقد خصصه لمهمته في الجزائر وتفاصيلها مزودا ذلك برسائل ومذكرات متبادلة بين مختلف الأطراف المعنية بقضية النزاع في الباستيون، وتناول أيضا في هذا الجزء تفاصيل عن حكومة الجزائر وعن الجيش الإنكشاري وعن البحرية وأخبار مدينة الجزائر منذ 1660م إلى غاية 1675م، حيث وصفها وبين معالمها، وتكلم أيضا عن مدينة بجاية وعن لباس الجزائريين وعاداتهم، وفي هذا الجزء نجد اقتراحات القنصل الفرنسي بمعاقبة قراصنة الجزائر وليبيا (D'Arvieux, tome 5). أما الجزء الأخير وهو السادس فقد خصصه

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

لمهمته في حلب وبعض أخبار الكنيسة ورجالها بحلب وقدم مذكرة مستفيضة عن تجارة فرنسا بالهند الشرقية والصعوبات التي تعترضها، بالإضافة إلى إدراجه عددا لا بأس به من المراسلات الديبلوماسية المختلفة المتبادلة بين المراكز الديبلوماسية في اسطنبول وباريس (d'Arvieux, tome 6).

تتميز مذكرات الفارس داريفيو بصفة عامة عن غيرها من الرحلات بالوضوح في بعض القضايا، مثل التصريح الذي دفعه للقيام برحلاته، سواء كان من أجل التجارة أو من أجل المهام القنصلية التي كلف، كان يوضح ذلك في مذكراته ويقترح ما يراه مناسبا على الملك ووزرائه. ومن بين الميزات التي تميزت بها مذكراته هو انفراده بذكر التفاصيل المختلفة والتجارب التي عاشها بنفسه ولا يقوم بنقل ما دونه سابقوه من أخبار عن بعض مناطق الشرق، بالإضافة الى ذلك انه نشر في مذكراته نسخا عن الوثائق الرسمية المتبادلة بين مختلف المصالح الفرنسية في الخارج والحكومة في باريس، نصوص معاهدات، مذكرات قناصل، تقارير ديبلوماسية، وغيرها. كذلك تميزت مذكراته بالجرأة في الطرح والنقد، حيث كان لا يتورع عن انتقاد مواطنيه خاصة في جانب معاملة الاسرى بأن الفكرة التي لديهم عن ذلك هي مجرد دعاية، وان هناك في أوربا من مالكي العبيد من هو أسوء معاملة من مسلمي شمال افريقيا تجاه العبيد (Brahimi, 1978, 75).

2. مذكرة أو مقترح الفارس داريفيو لغزو الجزائر

بعد انتهاء مهمة القنصل الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) في الجزائر وعودته إلى فرنسا عقد عدة لقاءات مع المسؤولين الفرنسيين وقدم لهم تقارير عن مهمته في الجزائر، والتقى أيضا في عدة لقاءات مع ممثل مملكة البرتغال في باريس، هذا الأخير قام بمراسلة الوصي على عرش البرتغال الأمير بيدرو (Pedro) أخ الملك ألفونسو السادس (Alphonso VI)، فوجه له تعليمات تتضمن طلب معلومات حول الجزائر والطريقة المناسبة لمعاقبة القراصنة في إطار مشروع إعداد حملة لتحطيمهم وتدميرهم.

قام الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) بإعداد مذكرة تحت عنوان[5]: "**مذكرة مرسلة إلى الأمير الوصي البرتغالي من اجل معاقبة قراصنة الجزائر وتحطيم جمهوريتهم**"، تضمنت هذه المذكرة قسمين من الملاحظات، الأولى ذات طابع عام، والثانية تفاصيل الخطة التي يقترحها لمدينة الجزائر، وهي على النحو التالي:

1.2. ملاحظات عامة

إن مصادر دخل ميليشيا الجزائر (هكذا سماها) تعتمد على ما تأخذه من المسيحيين عن طريق القرصنة، وإذا أريد التخلص منها فالأمر يسير جدا وليس بالصعوبة التي يتصورها البعض.

فهو يتصور قضيتين أساسيتين تتمثلان في توحد الدول الأوروبية في سياستها تجاه الجزائر، والاتفاق على توحيد الهدف من أي عمل عسكري ضدها. فيما يخص النقطة الأولى فهو يرى بوجوب اتفاق الدول المسيحية على رأي واحد يتمثل في حرمان الجزائريين من وسائل العمل البحرية والمواد التي تدخل في صناعة

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أسلحتها وعدم تموينهم بها، مثل الصواري، الحبال، المراسي وغيرها من مواد التثبيت والمواد التي تدخل في صناعة الأسلحة كالبارود، كرات المدافع، أقمشة الأشرعة والألواح الخشبية. وأشياء أخرى مهمة وضرورية لبناء وصناعة السفن. ولمنعهم من أي نشاط يجب الاستيلاء على سفنهم أو حرقها في الميناء. ونبه بأن الأموال الباهظة التي تخصصها إسبانيا والبرتغال لافتداء الأسرى سنويا كافية لتجهيز من 15 إلى 20 سفينة حربية (Vaisseaux).

وأما فيما يخص النقطة الثانية فيجب أن يكون هدف الحرب هو تدمير مدينة الجزائر وجعلها ركاما وعدم التفكير في احتلالها والاستيلاء عليها والاحتفاظ بها، ولن يكتب لهذا النجاح إلا إذا وقع تنسيق بين الجيوش الفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية وكل من هو عدو للأتراك. ويجب فعل نفس الشيء مع تونس وسلا المغربية الذين يملكون عمائر بحرية وسفن وبالتالي فان خطرهم مازال قائما (D'Arvieux, tome 5, pp.363,365).

2.2. تفاصيل الخطة

يؤكد الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) للوصي على عرش ملك البرتغال أن عددا من المراكب الحربية كفيل بمعاقبة القراصنة وتحطيمهم، وفي هذا الصدد يحدد نوع تلك المراكب وعددها على النحو التالي:

- من 10 إلى 12 سفينة حربية (Vaisseaux) تكون في حالة جيدة.
- من 05 إلى 06 سفن من نوع حراقة (Brulots).
- عدد من السفن الطويلة (Barque longues).
- وسفينتين مدفعيتين من نوع غاليوت (Deux Galiotes à Bombes) (d'Arvieux, tome 5, p. 365)

ويجب اختيار الوقت المناسب للقيام بالهجوم كهبوب الرياح المساعدة، وأفضل وقت لذلك بين شهري ماي واكتوبر. وفي هذا الوقت تغادر سفن القراصنة الميناء أو تعود إليه بعد رحلة طويلة (d'Arvieux, tome 5).

وعلى الأسطول المسيحي المهاجم أن لا يظهر مباشرة أمام سواحل مدينة الجزائر حتى لا تصله مدفعية حصونها، ويبقى بعيدا دون أن يعلموا شيئا عنه، وعليهم أن يختاروا اللحظة المناسبة للتقدم بواسطة الحراقات، وفي نفس الوقت يمكن للأسطول أن يعترض سفن القراصنة العائدة إلى الميناء والاستيلاء عليها.

إن مهمة الحراقات هي اشعال النيران في العمائر والسفن الراسية في الميناء ويجب أيضا إشعال النار في ورشات بناء السفن ومخازن الخشب. على أن يتم إرسال هذه الحراقات فرادى أو مثنى باستعمال فاصل زمني بينهما حتى لا تتمكن المدفعية من إصابتهم ويتمكنون من القيام بمهمتهم أحسن قيام. ويركز الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) على العنصر البشري المكلف بأداء هذه المهمة، فهو يلح

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

على أن يكونوا من الرجال الشجعان الذين يتقدمون ولا يتأخرون ولا يهابون، بل لديهم عزم ومضاء على تنفيذ مهمتهم بإشعال السفن وإغراقها. ويضيف بضرورة تزويد تلك الحراقات بقنابل ذات مفعول قوي تفجر في الهواء خلال الفوضى التي تعقب إحراق السفن، حتى تزيد من الهلع والخوف لدى سكان مدينة الجزائر وتساهم في إحباط معنوياتهم، ولما لا التأثير حتى على أعضاء الديوان وبقية أفراد البحرية (d'Arvieux, Tome 5, p. 367).

وفي اللحظة التي تتمكن فيها الحراقات من دخول الميناء على بقية الأسطول الاقتراب من الشاطئ وقنبلة الحصون لإشغالهم وتشتيت تركيز الأتراك، وفي اللحظة التي تتأكد فيها القيادة من نجاح اشتعال النيران يؤمر الأسطول بالاقتراب أكثر من الشاطئ ويقنبل بقوة الحصون والمدينة دون توقف، وحين التحقق من تدمير الحصون وخلوها من رجالها يجب توجيه التركيز على المدينة وجعلها مسرحا للحمم حتى تصل النيران إلى مخازن البارود فتنفجر(d'Arvieux, Tome 5, p. 368) .

لم ينس الفارس داريفيو الأسرى والعبيد المسيحيين من تخصيص دور لهم في خضم هذه المهمة المقدسة، فهو يتوقع خلال حالة الفوضى والهلع والفزع الناجمين عن الهجوم، أنهم سيستغلون الفرصة للهرب، وعلى رجال الأسطول المهاجم أن ينقذوهم وينجدونهم، فإن حدث ذلك ستكون أعظم فدية لم تكن من قبل. وهؤلاء الأسرى والعبيد المحررين سيقومون بتقديم معلومات عن الوضعية العامة ستساهم في إتمام المهمة بنجاح، وتمكننا من تجنب الأخطار المتوقعة في الميناء. وعلى الأسطول أيضا أو جزء منه يتكفل بمراقبة ومهاجمة بقية الموانئ ويستولى على مختلف العمائر ويحرق ويتلف مخازن الخشب (d'Arvieux, tome 5, p. 369, 370).

أما عن موقف الجزائريين –ويعبر عنهم بمصطلح المور – المعادي للأتراك وهذا بسبب معاملتهم غير الإنسانية لهم، سيستغلون هذه الفرصة للتحرر من هذا الطغيان، وهذا دون شك حسب رأيه سيساهم في تحطيم البرابرة، ومن جهة أخرى هو مجد لجلالة ملك البرتغال وذو منفعة للجمهورية المسيحية (d'Arvieux, tome 5, p. 370).

وعن مصير البرابرة كما يسميهم فهو يعتقد أنهم سيصرخون بطلب الرحمة ويطلبون السلام، فهو يرفض أن يعاملوا بما يليق، بل يجب بيعهم بأغلى الأثمان وأخذ الرهائن حتى لا يعودوا لعمل القرصنة ويزعجوا التجار المسيحيين والدول الأوروبية (D'Arvieux, tome 5, p. 370).

خاتمة

في ختام هذا المقال نلاحظ كيف أن القناصل والسفراء والمبعوثين الأوروبيين كانوا يستغلون مواقعهم وحصانتهم القنصلية من اجل التخطيط وجمع المعلومات وتقديم الاقتراحات والمشاريع لغزو شمال إفريقيا، وتفيد مذكرة الفارس لورانت داريفيو (Le Chevalier Laurent d'Avrieux) المقدمة للوصي على عرش أمير البرتغال عن جهد استخباراتي واضح، فهو يعطي تفاصيل عن تعداد القوة التي يملكها البرابرة كما يسميهم وان

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الأمر يتعلق بالجانب النفسي والإرادة في العمل، لأن قوتهم ليست كما تعتقده بعض الأمم الأوروبية. وأنه طالما رواده حلم وتمنى أن يرى جنود الملك الفرنسي تغزو الجزائر.

وإن دل هذا فإنه يدل على شيوع وذيوع فكرة الاستيلاء على الأخر بحجة حماية تجارتهم- وكأنهم لم يمارسوا القرصنة واللصوصية في البحر- بين مختلف المسؤولين السياسيين الفرنسيين وأعضاء هيئة السلك الديبلوماسي. وفي وقتنا الراهن المكتبات الأوروبية والفرنسية على الأخص عامرة بالاقتراحات لغزو العالم الإسلامي، إنها طبيعة عدوانية مغلفة ومبطنة بمظاهر واهية.

إن تقديم خطة مفصلة مثل هذه تدل على عمق تفكير واضعها وربما قد اطلع على خطط سابقة تكون قد أفادته، أو اطلع على تفاصيل الحملات السابقة، مثل حملة شارلكان وحملة دي بوفور. رغم قوة هذا المقترح وأهميته فان مصادر التاريخ المختلفة لم تقدم لنا مصير هذه المذكرة، وهل تم الأخذ بها أم لا؟ هذا الجواب يبقى قائما ومجالا للبحث، ننتظر أن نرى الإجابة عنه يوما ما.

في حدود مطالعتنا المتواضعة لم نعثر على أي آثار لهذا المشروع، الذي بقي حبرا على ورق، يضاف إلى العشرات من مشاريع الغزو ضد الجزائر.

التعليقات والشروحات

1 – **حملة بوفور**: كانت سنة 1664م منيت بالفشل، لمزيد من الاطلاع، ينظر، (غطاس، 1985، ص 70 وما بعدها).

2 – فيلسوف ومفكر ورياضي وسياسي ألماني عاش بين 1646و 1716م، له عدة نظريات وأراء، من بينها، إن الطريقة المثلى لصد ملك فرنسا لويس الرابع عشر عن غزو إمارات الراين الألمانية هي إقناعه بمشروع غزو مصر وتحويل أنظاره عن منطقة الراين. لمزيد من الاطلاع ينظر، (زكي، 2020، ص 98 وما بعدها).

3 – هذا الداي استمر في الحكم من سنة 1671 الى غاية 1681م وصهره يدعى بابا حسن الذي خلفه في الحكم، لمزيد من الاطلاع ينظر، (عزيز، 1989، ص 415 وما بعدها).

4 – **جان باتيست لابا** (1663–1738): ولد في فرنسا. هو راهب دومينيكيّ، رجل دين ومبشر نشط في جزر الفرنسية بالقارة الامريكية، حيث ساهم في بناء عدة كنائس وتعميد السكان المحليين، له عدة اهتمامات علمية مثل التاريخ والهندسة وعلم النبات ورحالة، له عدة مؤلفات من بينها: رحلة جديدة إلى الجزر الفرنسية بأمريكا، من ستة أجزاء.

5 – قدم الفارس داريفيو مذكرة أخرى لملك فرنسا تتضمن معاقبة قراصنة طرابلس، ضمنها معلومات مفيدة وخطة واضحة، مستفيدا من تجارب سابقة، خاصة الحملة الإنجليزية على طرابلس واخبارها، لمزيد من الاطلاع ينظر:

- chevalier D'Arvieux: Volume 5, Op. Cit, PP 414, 417.

قائمة المراجع

– المراجع باللغة العربية

- أحمد أمين، زكي نجيب محمود، (2020) **قصة الفلسفة الحديثة**، مصر، مؤسسة هنداوي.
- عزيز سامح التر، (1989) **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، محمود علي عامر، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- غطاس عائشة، (1985) **العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619– 1694م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر.

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- المراجع باللغة الاجنبية

- D'ARVIEUX Laurent (1735) **Memoire du Chevalier D'D'Arvieux,** envoye extraordinaire du Roy a la Porte, Consul d'Alep, d'Alger, de Tripoli, & autres Echelles du Levant, Paris, par le R.P. Jean-Baptiste Labat, chez Charles-Jean-Baptiste Delespine le Fils, 6 vol.
- Belhamissi Moulay (1999), **Alger, l'Europe et la guerre secrète**, Alger, Editions Dahlab.
- Bilici Faruk (2014) « **Les projets de croisade français contre l'Empire ottoman au XVIIe siècle** ». In Les Projets de croisade, édité par Jacques Paviot. Toulouse : Presses universitaires du Midi, https://doi.org/10.4000/books.pumi.16362.
- Denise Brahimi, (1978) **opinions et regards des Européens sur le Maghreb aux XVIIème et XVIIIème siècles, Alger,société national d'édition et de diffusion.**
- **Henri Oddo (1896) Le chevalier Paul lieutenant- général des armées navales du levant 1598-1668,** Paris, librairie H. Le soudier.
- Néba Fabrice Yale (2010) **La vie quotidienne des esclaves sur l'habitation dans la Saint-Domingue française au XVIIIe siècle** : regards de planteurs, de voyageurs et d'auteurs européens Histoire. dumas - 00611185.
- Parlea, Vanezia.(2015) « Introduction ». In « Un Franc parmy les Arabes ». Grenoble : UGA Éditions, https://doi.org/10.4000/books.ugaeditions.272.

- مواقع الكترونية

- موقع مجلة المنارة: **جبل لبنان والموارنة في القرن السابع عشر من خلال مذكرات الرحّالة لوران دارفيو LAURENT D'D'ARVIEUX**، مجلة دينية تصدر عن جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة، تاريخ الاطلاع يوم 2024/07/08م على الساعة 37،06. https://almanara-magazine.net /جبل-لبنان-والموارنة-في-القرن-السابع-عشر/

Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)